## 38-سورة ص-بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ﴿٢﴾ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ
مَنَاصٖ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ
إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ﴿٦﴾
مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۖ
بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ
وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ
وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ ﴿١٣﴾
إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ﴿١٥﴾
وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٦﴾

هذا بيان من اللّٰه تعالى لحال القرآن،و حال المكذبين به معه و مع من جاء به،

فقال: (صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ )

أي:ذي القدر العظيم و الشرف، المُذَكِّرِ للعباد كل ما يحتاجون إليه
من العلم، بأسماء اللّٰه و صفاته و أفعاله، و من العلم بأحكام اللّٰه الشرعيةو من العلم بأحكام المعاد و

الجزاء،فهو مذكر لهم في أصول دينهم و فروعه﴿١﴾

(بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ )و امتناع عن الإيمان به، و استكبار(وَشِقَاقٖ)له أي: مشاقة و مخاصمة في رده و

إبطاله و في القدح بمن جاء به﴿٢﴾

(كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ)حِينَ جَاءَهُمُ الْعَذَابُ اسْتَغَاثُوا وَ جَأَرُوا إِلَى اللَّهِ. وَ لَيْسَ ذَلِكَ بِمُجْدٍ عَنْهُمْ شَيْئًا.

(وَّلَاتَ )هِيَ "لَا" الَّتِي لِلنَّفْيِ، زِيدَتْ مَعَهَا "التَّاءُ"

(حِينَ مَنَاصٖ )ليس الوقت، وقت خلاص مما وقعوا فيه، و لا فرج لما أصابهم﴿٣﴾

(وَعَجِبُوٓاْ)عجب هؤلاء المكذبون في أمر ليس محل عجب(أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ )
ليتمكنوا من التلقي عنه، و ليعرفوه حق المعرفة،و لأنه من قومهم، فلا تأخذهم النخوة القومية عن اتباعه،

فهذا مما يوجب الشكر عليهم، و تمام الانقياد له. و لكنهم عكسوا القضية، فتعجبوا تعجب إنكار

(وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ )من كفرهم و ظلمهم:-(هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ) ٤

و ذنبه - عندهم- أنه

( أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ )كيف ينهى عن اتخاذ الشركاء و الأنداد،و يأمر بإخلاص العبادة للّه وحده.

(إِنَّ هَٰذَا ) الذي جاء به(لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ) يقضي منه العجب لبطلانه و فساده ٥

(وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ )المقبول قولهم، محرضين قومهم على التمسك بما هم عليه من الشرك.

(أَنِ ٱمۡشُواْ )استمروا عليها(وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ )جاهدوا نفوسكم في الصبر عليها و على عبادتها،

و لا يردكم عنها راد، و لا يصدنكم عن عبادتها، صاد.

(إِنَّ هَٰذَا )الذي جاء به محمد، من النهي عن عبادتها

(لَشَيۡءٞ يُرَادُ )يقصد، أي: له قصد و نية غير صالحة في ذلك-هم قصدهم، أن محمدا:-

ما دعاكم إلى ما دعاكم، إلا ليرأس فيكم، و يكون معظما عندكم، متبوعا ٤

(مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا ) القول الذي قاله، و الدين الذي دعا إليه (فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ )

في الوقت الأخير أو النَّصْرَانِيَّةِ قَالُوا: لَوْ كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ حَقًّا أَخْبَرَتْنَا بِهِ النَّصَارَى.

(إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ)و ما هذا الذي دعا إليه محمد إلا اختلاق اختلقه، و كذب افتراه ٧

( أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ )ما الذي فضله علينا، حتى ينزل الذكر عليه من دوننا، و يخصه الله به؟

وَ لِهَذَا لَمَّا قَالُوا هَذَا الَّذِي دَلَّ عَلَى جَهْلِهِمْ وَ قِلَّةِ عَقْلِهِمْ فِي اسْتِبْعَادِهِمْ إِنْزَالَ الْقُرْآنِ عَلَى الرَّسُولِ مِنْ بَيْنِهِمْ،

(بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ)ريب (مِّن ذِكۡرِيۖ )*وحيي إليك -أيها الرسول- و إرسالي لك (بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ)

بل قالوا ذلك؛لأنهم لم يذوقوا عذاب الله، فلو ذاقوا عذابه لما تجرؤوا على ما قالوا ٨

( أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ)الَّذِي يُعْطِي مَا يُرِيدُ لِمَنْ يُرِيدُ ٩

حيث قالوا: ( أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ)هذا فضله تعالى و رحمته، و ليس ذلك بأيديهم حتى يتحجروا على

اللّه. ( أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ)بحيث يكونون قادرين على ما يريدون.

(فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ )الموصلة لهم إلى السماء، فيقطعوا الرحمة عن رسول الله،

فكيف يتكلمون، و هم أعجز خلق اللّه و أضعفهم بما تكلموا به؟!

أم قصدهم التحزب و التجند، و التعاون على نصر الباطل و خذلان الحق؟

و هو الواقع فإن هذا المقصود لا يتم لهم،بل سعيهم خائب،و جندهم مهزوم،

هؤلاء الـــ(جُندٞ ) المكذِّبون (مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ)ـــــون كما هُزم غيرهم (مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ) قبلهم

(كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ)قوم هود (وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ )الجنود العظيمة، و القوة الهائلة(١٢)

(وَثَمُودُ )قوم صالح،(وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۚ )الأشجار و البساتين الملتفة، و هم قوم شعيب

(أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ )الذين اجتمعوا بقوتهم و عَدَدِهمْ و عُدَدِهمْ على رد الحق، فلم تغن عنهم شيئا(١٣)

( إِن كُلٌّ)من هؤلاء(إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ )عليهم(عِقَابِ )اللّٰه،و هؤلاء، ما الذي يطهرهم و يزكيهم

أن لا يصيبهم ما أصاب أولئك(١٤)

( وَمَا يَنظُرُ )فلينتظر( هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ)من رجوع و رد، تهلكهم و تستأصلهم إن أقاموا على ما هم عليه.

وَ هَذِهِ الصَّيْحَةُ هِيَ نَفْخَةُ الْفَزَعِ الَّتِي يَأْمُرُ اللَّهُ إِسْرَافِيلَ أَنْ يُطَوِّلَهَا،

فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ إِلَّا فَزِعَ إِلَّا مَنِ اسْتَثْنَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ(١٥)

(وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا)قسطنا و ما قسم لنا من العذاب عاجلا

(قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ) القيامة، و كان هذا استهزاءً منهم.و لَجُّوا في هذا القول،
و زعموا أنك يا محمد، إن كنت صادقا، فعلامة صدقك أن تأتينا بالعذاب،

ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ
﴿١٨﴾ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿١٩﴾ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٠﴾
۞وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴿٢١﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ
قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾
إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾
قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ
إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ۩
﴿٢٤﴾ فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٢٥﴾
يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾

(ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ)كما صبر مَنْ قبلك من الرسل(وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِ)
القوة العظيمة على عبادة اللّٰه تعالى، في بدنه و قلبه.

(إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ) رجّاع إلى اللّٰه في جميع الأمور بالإنابة إليه، بالحب و التأله،و الخوف و الرجاء، و كثرة التضرع

و الدعاء ...رجاع إليه عندما يقع منه بعض الخلل، بالإقلاع و التوبة النصوح﴿١٧﴾

(إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ)و من شدة إنابته لربه و عبادته،أن سخر اللّٰه الجبال معه، تسبح معه بحمد ربها

(بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ) أول النهار و آخره ﴿١٨﴾

(وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗ )محبوسة في الهواء(كُلّٞ ) من الجبال و الطير،لله(لَّهُۥٓ أَوَّابٞ )مُطِيعٌ يُسَبِّحُ تَبَعًا لَهُ﴿١٩﴾

(وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ)قويناه بما أعطيناه من الأسباب و كثرة الْعَدَد و الْعُدَدِ التي بها قوّى اللّٰه ملكه،

(وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ )النبوة و العلم العظيم،(وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ)الخصومات بين الناس ﴿٢٠﴾

فقال لنبيه محمد ﷺ:-(وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ)فإنه نبأ عجيب(إِذۡ تَسَوَّرُواْ )على داود

(ٱلۡمِحۡرَابَ )محل عبادته من غير إذن و لا استئذان،و لم يدخلوا عليه مع باب،فلذلك لما دخلوا عليه بهذه الصورة ﴿٢١﴾

(فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ ) و خاف، فـــــــ(قَالُواْ ) له:–(لَا تَخَفۡۖ )

نحن(خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ) بالظلم(فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ )بالعدل، و لا تَمِل مع أحدنا

(وَلَا تُشۡطِطۡ)و لا تَجُرْ علينا في الحكم(وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ) أرشِدنا إلى(سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ )

و المقصـــود من هــــــذا:-أن الخصمين قد عرف أن قصدهما الحق الواضح الصرف،

و إذا كان ذلك، فسيقصان عليه نبأهما بالحق، فلم يشمئز نبي اللّٰه داود من وعظهما له، و لم يؤنبهما.

فقال أحدهما:-(إِنَّ هَٰذَآ أَخِي ) نص على الأخوة في الدين أو النسب أو الصداقة،لاقتضائها عدم البغي،

و أن بغيه الصادر منه أعظم من غيره ﴿٢٢﴾

(لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ)

أي: زوجة، و ذلك خير كثير، يوجب عليه القناعة بما آتاه اللّٰه.

(وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ)فطمع فيها (فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا )دعها لي، و خلها في كفالتي.

(وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ )غلبني في القول، فلم يزل بي حتى أدركها أو كاد.

فقال لما سمع كلامه(قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ) و هذه عادة الخلطاء و القرناء الكثير منهم﴿٢٣﴾

فقال:(وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ ) الشركاء(لَيَبۡغِي )ليتعدى(بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ )لأن الظلم من صفة النفوس.

(إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ)فإن ما معهم من الإيمان و العمل الصالح، يمنعهم من الظلم.

(وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ ) كما قال تعالى( وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ)

(وَظَنَّ دَاوُۥدُ)حين حكم بينهما(أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ )اختبرناه و دبرنا عليه هذه القضية ليتنبه

(فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ )لما صدر منه(وَخَرَّۤ رَاكِعٗا) ساجدا -وَ يُحْتَمَلُ أَنَّهُ رَكَعَ أَوَّلًا ثُمَّ سَجَدَ بَعْدَ ذَلِكَ

(وَأَنَابَ)للّٰه تعالى بالتوبة النصوح و العبادة ﴿٢٤﴾

(فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ )الذي صدر منه، و أكرمه اللّٰه بأنواع الكرامات-مَا كَانَ مِنْهُ مِمَّا يُقَالُ فِيهِ:-إِنَّ حَسَنَاتِ الْأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ الْمُقَرَّبِينَ.(وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ)منزلة عالية، و قربة منا

(وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ) مرجع.

و هذا الذنب الذي صدر من داود ﵇، لم يذكره اللّٰه لعدم الحاجة إلى ذكره، فالتعرض له من باب التكلف، و إنما الفائدة ما قصه اللّٰه علينا من لطفه به و توبته و إنابته،

و أنه ارتفع محله، فكان بعد التوبة أحسن منه قبلها ٢٥

( يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَـٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ)تنفذ فيها القضايا الدينية و الدنيوية،

(فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ )العـــدل، و هذا لا يتمكن منه، إلا :-

1-بعلم بالواجب،2-و علم بالواقع، 3-و قدرة على تنفيذ الحق،

(وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ)فتميل مع أحد، لقرابة أو صداقة أو محبة، أو بغض للآخر

(فَيُضِلَّكَ )الهوى (عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ )و يخرجك عن الصراط المستقيم،

(إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ)خصوصا المتعمدين منهم،

(لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ)بغفلتهم عن يوم الجزاء و الحساب ٢٦

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾
أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾
كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُۖ
إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى
حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ
وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓۖ
إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾
وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ
مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾
ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾

(وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ)يخبر تعالى عن تمام حكمته في خلقه السماوات و الأرض،(وَمَا بَيْنَهُمَا )

و أنه لم يخلقهما (بَٰطِلًاۚ )عبثا و لعبا من غير فائدة و لا مصلحة

(ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ ) بربهم، حيث ظنوا ما لا يليق بجلاله(فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ)27

( أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ)

هذا غير لائق بحكمتنا و حكمنا-لَا نَفْعَلُ ذَلِكَ وَ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ28

وَ لَمَّا كَانَ الْقُرْآنُ يُرْشِدُ إِلَى الْمَقَاصِدِ الصَّحِيحَةِ وَ الْمَآخِذِ الْعَقْلِيَّةِ الصَّرِيحَةِ،قَالَ:-(كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ )
فيه خير كثير، و علم غزير، فيه كل هدى من ضلالة، و شفاء من داء،و نور يستضاء به في الظلمات،
و كل حكم يحتاج إليه المكلفون،و فيه من الأدلة القطعية على كل مطلوب، ما كان به أجل كتاب طرق
العالم منذ أنشأه اللّٰه 29

(لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ )هذه الحكمة من إنزاله،ليتدبـــــر النـــــــاس آياته،فـــــــ:-

1-يستخــــــــرجوا علمهـــــا 2-و يتأملـــــوا أسرارهـــــا و حكمهـــــا

○فإنه بالتدبر فيه و التأمل لمعــــــانيه،و إعـــــادة الفكــــر فيها مــــــرة بعد مـــــرة-

تــــدرك بركتــــــه و خيـــــره،

و هــــــذا يـــدل عــــلى :-

1-الحــــــث على تدبر القرآن و أنه من أفضل الأعمال،

2-و أن القراءة المشتملة على التدبر أفضل من سرعة التلاوة التي لا يحصل بها هذا المقصود.

(وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ )

أولو العقول الصحيحة، يتذكرون بتدبرهم لها كل علم و مطلوب

فدل هذا على أنه بحسب لب الإنسان و عقله يحصل له التذكر و الانتفاع بهذا الكتاب.

***قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ:-

وَ اللَّهِ مَا تَدَبُّره بِحِفْظِ حُرُوفه وَ إِضَاعَة حُدُوده،

حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَقُول:-قَرَأْتُ الْقُرْآنَ كُلَّهُ مَا يُرَى لَهُ القرآنُ فِي خُلُقٍ وَ لَا عَمَلٍ.

لما أثنى تعالى على داود،و ذكر ما جرى له و منه، أثنى على ابنه سليمان عليهما السلام29

فقال: ( وَوَهَبْنَا )أنعمنا به عليه، و أقررنا به عينه(لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ )نبيا وَ إِلَّا فَقَدَ كَانَ لَهُ بَنُونَ غَيْرُهُ،

فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ عِنْدَهُ مِائَةُ امْرَأَةٍ حَرَائِرَ(نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ) سليمان ﷷ، فإنه اتصف بما يوجب المدح،

(إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ)رجّاع إلى اللّه في جميع أحواله، بالتأله و الإنابة، و المحبة و الذكر و الدعاء و التضرع،

و الاجتهاد في مرضاة اللّه، و تقديمها على كل شيء30

( إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ)عصرًا، لما عرضت عليه الخيل (ٱلْجِيَادُ )السِّرَاعُ(ٱلصَّٰفِنَٰتُ )وَ هِيَ الَّتِي تَقِفُ عَلَى ثَلَاثٍ وَ طَرَفِ حَافِرِ الرَّابِعَةِو كان لها منظر رائق، و جمال معجب، خصوصا للمحتاج إليها كالملوك،

فما زالت تعرض عليه حتى غابت الشمس في الحجاب، فألهته عن صلاة المساء و ذكره. 31

فقال ندما على ما مضى منه، و تقربا إلى اللّه بما ألهاه عن ذكره، و تقديما لحب اللّه على حب غيره:

(فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ ) آثرت (حُبَّ ٱلْخَيْرِ)الخيل- اشْتَغَلَ بِعَرْضِهَا حَتَّى فَاتَ وَقْتُ صَلَاةِ الْعَصْرِ وَ الَّذِي يُقْطَعُ بِهِ أَنَّهُ لَمْ يَتْرُكْهَا عَمْدًا بَلْ نِسْيَانًا كَمَا شُغِلَ النَّبِيُّ ﷺيَوْمَ الْخَنْدَقِ عَنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ حَتَّى صَلَّاهَا بَعْدَ الْغُرُوبِ

(عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ) حتى غابت الشمس في الحجاب32

(رُدُّوهَا عَلَىَّ)فردوها (فَطَفِقَ )فشرع فيها (مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ )جعل يعقرها بسيفه، في سوقها و أعناقها.

و كان التقرب بذبح الخيل مشروعاً في شريعته 33

( وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ )ابتليناه و اختبرناه بذهاب ملكه و انفصاله عنه بسبب خلل اقتضته الطبيعة البشرية،

(وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا)

أولا:–
أي: شيطانا قضى اللّه و قدر أن يجلس على كرسي ملكه،
و يتصرف في الملك في مدة فتنة سليمان،
ثانيا:–
ألقينا على كرسيه شق وَلَد،وُلِد له حين أقسم ليطوفنَّ على نسائه، و كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله،
و لم يقل: إن شاء الله، فطاف عليهن جميعًا، فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق ولد،

(ثُمَّ أَنَابَ )

أولا:–رَجَعَ إِلَى مُلْكِهِ وَ سُلْطَانِهِ وَ أُبَّهَتِهِ ثانيا:–*الميسر:ثم رجع سليمان إلى ربه و تاب34

فـ( قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ) مِنَ الْبَشَرِ (إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ )35

(فَسَخَّرۡنَا )ذللنا (لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ ) طيّعة مع قوتها و شدتها-لَمَّا عَقَرَ سُلَيْمَانُ الْخَيْلَ غَضَبًا لِلَّهِ، عَزَّ وَ جَلَّ
عَوَّضَهُ اللَّهُ مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهَا وَ أَسْرَعُ الرِّيحُ الَّتِي غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَ رَوَاحُهَا شَهْرٌ

(رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ )أَرَادَ مِنَ الْبِلَادِ36

فاستجاب اللّه له و غفر له، و رد عليه ملكه،
و زاده ملكا لم يحصل لأحد من بعده،
و هو تسخير الشياطين له،

(وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ )يبنون ما يريد مِنْ مَحَارِيبَ وَ تَمَاثِيلَ وَ جِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَ قُدُورٍ رَاسِيَاتٍ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ

(وَغَوَّاصٖ )

و يغوصون له في البحر، يستخرجون الدر و الحلى وَ الْجَوَاهِرِ وَ الْأَشْيَاءِ النَّفِيسَةِ الَّتِي لَا تُوجَدُ إِلَّا فِيهَا)

(وَءَاخَرِينَ )و هم مردة الشياطين(مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ)موثوقون في الأغلال.

و من عصاه منهم قرنه في الأصفاد و أوثقه(أَوْ قَدْ أَسَاءَ فِي صنيعه و اعتدى)38

و قلنا له: (هَٰذَا عَطَآؤُنَا) فَقَرَّ به عينا (فَٱمۡنُنۡ ) على من شئت(أَوۡ أَمۡسِكۡ ) من شئت

(بِغَيۡرِ حِسَابٖ) لا حرج عليك في ذلك و لا حساب لعلمه تعالى بكمال عدله، و حسن أحكامه39

و لهذا قال:-( وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ)هو من المقربين عند اللّه المكرمين بأنواع الكرامات للّه.

(وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ )مرجع40

( وَٱذۡكُرۡ) في هذا الكتاب ذي الذكر(عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ )بأحسن الذكر، و أثن عليه بأحسن الثناء، حين أصابه الضر،

فصبر على ضره، فلم يشتك لغير ربه، و لا لجأ إلا إليه.

(إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ ) داعيا، و إليه لا إلى غيره شاكيا،

فَلَمَّا طَالَ الْمَطَالُ وَ اشْتَدَّ الْحَالُ وَ انْتَهَى الْقَدَرُ الْمَقْدُورُ وَ تَمَّ الْأَجَلُ الْمُقَدَّرُ تَضَرَّعَ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ وَإِلَهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ: -

{أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [الْأَنْبِيَاءِ: 83]وَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ قَالَ:-

رب (أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ)فِي بَدَنِي (وَعَذَابٍ )فِي مَالِي وَ وَلَدِي

أي: بأمر مشق متعب معذب، و كان سلط على جسده فنفخ فيه حتى تقرح،ثم تقيح بعد ذلك و اشتد

به الأمر، و كذلك هلك أهله و ماله41

فقيل له: (ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ )أي: اضرب الأرض بها،(هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ )

فَأَنْبَعَ اللَّهُ عَيْنًا وَ أَمَرَهُ أَنْ يَغْتَسِلَ مِنْهَا فَأَذْهَبَ جَمِيعَ مَا كَانَ فِي بَدَنِهِ مِنَ الْأَذَى

(وَشَرَابٞ )لينبع لك منها عين تغتسل منها و تشرب، فيذهب عنك الضر و الأذى،ففعل ذلك،

فذهب عنه الضر، و شفاه الله تعالى42

وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ
إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾
إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ
وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ
﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾
هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾
جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾
هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ
فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾

(وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ)قيل: إن اللّه تعالى أحياهم له(وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ )في الدنيا، و أغناه اللّه، و أعطاه مالا عظيما

(رَحْمَةً مِّنَّا )بِهِ عَلَى صَبْرِهِ وَ ثَبَاتِهِ وَ إِنَابَتِهِ وَ تَوَاضُعِهِ وَ اسْتِكَانَتِهِ حيث صبر فأثبناه من رحمتنا ثوابا عاجلا

و آجلا (وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ)لِذَوِي الْعُقُولِ لِيَعْلَمُوا أَنَّ عاقبةَ الصَّبْرِ:- الفرجُ و المخرجُ و الراحة43

( وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا )حزمة شماريخ (فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ )كان في مرضه و ضره، قد غضب على زوجته في بعض الأمور، فحلف: لئن شفاه اللّه ليضربنها مائة جلدة، فلما شفاه اللّه، و كانت امرأته صالحة محسنة إليه، رحمها اللّه و رحمه، فأفتاه أن يضربها بضغث فيه مائة شمراخ ضربة واحدة، فيبر في يمينه.

(إِنَّا وَجَدْنَٰهُ )أيوب(صَابِرًا )ابتليناه بالضر العظيم، فصبر لوجه اللّه تعالى

(نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ) الذي كمل مراتب العبودية، في حال السراء و الضراء، و الشدة و الرخاء.

(إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ )

كثير الرجوع إلى اللّه، في مطالبه الدينية و الدنيوية،كثير الذكر لربه و الدعاء، و المحبة و التأله44

يقول تعالى:-( وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ)الذين أخلصوا لنا العبادة ذكرا حسنا(إِبْرَٰهِيمَ )الخليل( و )

ابنه

(وَإِسۡحَٰقَ وَ )ابن ابنه (وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي )القوة على عبادة اللّه تعالى

(وَٱلۡأَبۡصَٰرِ )البصيرة في دين اللّه-الْفِقْهِ فِي الدِّينِ.فوصفهم بالعلم النافع، و العمل الصالح الكثير45

( إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ )عظيمة، و خصيصة جسيمة،و هي: جعلنا(ذِكۡرَى ٱلدَّارِ )الآخرة في قلوبهم،

و العمل لها صفوة وقتهم،و الإخلاص و المراقبة للّه وصفهم الدائم، و جعلناهم (ذِكۡرَى ٱلدَّارِ )
يتذكر بأحوالهم المتذكر،و يعتبر بهم المعتبر، و يذكرون بأحسن الذكر.

( وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ) الذين اصطفاهم اللّه من صفوة خلقه

(ٱلۡأَخۡيَارِ )الذين لهم كل خلق كريم، و عمل مستقيم.

( وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ )اذكر هؤلاء الأنبياء بأحسن الذكر، و أثن عليهم أحسن الثناء

(وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ )فإن كلا منهم من الأخيار الذين اختارهم اللّه من الخلق، و اختار لهم أكمل الأحوال،
من الأعمال، و الأخلاق، و الصفات الحميدة، و الخصال السديدة.

( هَٰذَا )ذكر هؤلاء الأنبياء الصفوة و ذكر أوصافهم(ذِكۡرٞۚ )

في هـــــذا القــــــرآن ذي الذكـــــــر:-

1-يتذكـــــــر بأحوالهم المتذكرون،
2-و يشتـــــاق إلى الاقتداء بأوصافهم الحميدة المقتدون
3-و يعرف ما منَّ اللّه عليهم به من الأوصاف الزكية،و ما نشر لهم من الثناء بين البرية.
فهذا نوع من أنواع الذكر، و هو ذكر أهل الخير،
و من أنواع الذكر، ذكر جزاء أهل الخير و أهل الشر، و لهـــــذا قال: -

(وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ )ربهم، بامتثال الأوامر و اجتناب النواهي، من كل مؤمن و مؤمنة.

(لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ )لمآبا حسنا، و مرجعا مستحسنا ثم فسره و فصله فقال:-

( جَنَّٰتِ عَدۡنٖ )
جنات إقامة، لا يبغي صاحبها بدلا منها، من كمالها و تمام نعيمها،و ليسوا بخارجين منها و لا بمخرجين.

(مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ )لأجلهم أبواب منازلها و مساكنهالا يحتاجون أن يفتحوها هم ، بل هم مخدومون،
و هذا دليل أيضا على الأمان التام، و أنه ليس في جنات عدن، ما يوجب أن تغلق لأجله أبوابها.

( مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا ) على الأرائك المزينات، و المجالس المزخرفات

(يَدۡعُونَ فِيهَا )يأمرون خدامهم،أن يأتوا

(بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ )

من كل ما تشتهيه نفوسهم، و تلذه أعينهم،و هذا يدل على كمال النعيم،و كمال الراحة و الطمأنينة، و تمام اللذة.

(۞ وَعِندَهُمۡ ) من أزواجهم، الحور العين (قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ )طرفهن على أزواجهن، و طرف أزواجهن عليهن،

لـــــ:-1-جمـــــالهم كلهم،2-و محبــــــة كل منهما للآخر،3-و عـــــدم طموحه لغيره،

و أنه لا يبغي بصاحبه بدلا و لا عنه عوضا

(أَتۡرَابٌ )على سن واحد، أعدل سن الشباب و أحسنه و ألذه.

( هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ )أيها المتقون(لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ )جزاء على أعمالكم الصالحة.

( إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا ) الذي أوردناه على أهل دار النعيم (مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ)انقطاع

( هَٰذَاۚ ) الجزاء للمتقين ما وصفناه(وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ)المتجاوزين للحد في الكفر و المعاصي

(لَشَرَّ مَـَٔابٖ )مرجع و منقلب. ثم فصله فقال:-

( جَهَنَّمَ)التي جمع فيها كل عذاب، و اشتد حرها، و انتهى قرها

(يَصۡلَوۡنَهَا )يعذبون فيها عذابا يحيط بهم من كل وجه لهم من فوقهم ظلل من النار و من تحتهم ظلل.

(فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ )المعد لهم مسكنا و مستقرا( هَٰذَا )المهاد، هذا العذاب الشديد، و الخزي و الفضيحة و النكال

(فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ)ماء حار، قد اشتد حره، يشربونه فيقطعُ أمعاءهم.

(وَغَسَّاقٞ )و هو أكره ما يكون من الشراب، من قيح و صديد، مر المذاق، كريه الرائحة.
أو الْبَارِدُ الَّذِي لَا يُسْتَطَاعُ مِنْ شِدَّةِ بَرْدِهِ الْمُؤْلِمِ

(وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ ) من نوعه -لونه

(أَزۡوَٰجٌ ) وَ أَشْيَاءُ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ، الشَّيْءُ وَ ضِدُّهُ يُعَاقَبُونَ بِهَا.كَـــــ:-
الزَّمْهَرِيرِ وَ السَّمُومِ وَ شُرْبِ الْحَمِيمِ وَ أَكْلِ الزَّقُّومِ وَ الصُّعُودِ وَ الْهُوِيِّ
إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ وَ الْمُتَضَادَّةِ وَ الْجَمِيعُ مِمَّا يُعَذَّبُونَ بِهِ وَ يُهَانُونَ بِسَبَبِهِ.

و عند تواردهم على النار يشتم بعضهم بعضا،و يقول بعضهم لبعض:-(هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ ) داخل

(مَّعَكُمۡ)النار(لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ )هَذَا إِخْبَارٌ عَنْ قِيلِ أَهْلِ النَّارِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا} [الْأَعْرَافِ: 38]يَعْنِي بَدَلَ السَّلَامِ يَتَلَاعَنُونَ وَ يَتَكَاذَبُونَ وَ يَكْفُرُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ فَتَقُولُ الطَّائِفَةُ الَّتِي تَدْخُلُ قَبْلَ الْأُخْرَى إِذَا أَقْبَلَتِ الَّتِي بَعْدَهَا مَعَ الْخَزَنَةِ مِنَ الزَّبَانِيَةِ:

(قَالُوا۟ )الفوج المقبل المقتحم:(بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ )العذاب

(لَنَاۖ ) بدعوتكم لنا، و فتنتكم و إضلالكم و تسببكم.

(فَبِئۡسَ ٱلۡقَـرَارُ )فبئس دار الاستقرار جهنم.قرار الجميع، قرار السوء و الشر.ثم دعوا على المُغْوِين لهم،

فـــــــ(قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَـدَّمَ لَنَا هَـٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابًا ضِعۡفًا فِی ٱلنَّـارِ)

و قال في الآية الأخرى:-{قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ} [الْأَعْرَافِ: 38]

وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾
إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾
رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾
مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾
إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾
فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾
قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾
قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾
وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾
إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾

(وَقَالُوا۟ ) و هم في النار(مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم)نزعم أنهم (مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ) المستحقين لعذاب النار، و هم المؤمنون، تفقدهم أهل النار – قبحهم اللّه – هل يرونهم في النار؟ 62

( أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ)

أي: عدم رؤيتنا لهم دائر بين أمرين:-

الأمر الاول:–( أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا )هل تحقيرنا لهم و استهزاؤنا بهم خطأ،

و الأمر الثاني :–(أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ)أو أنهم معنا في النار، لكن لم تقع عليهم الأبصار؟63

( إِنَّ ذَٰلِكَ )الذي ذكرت لكم (لَحَقٌّ)ما فيه شك و لا مرية(تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ )من جدال أهل النار و خصامهم64

( قُلْ ) يا أيها الرسول لهؤلاء المكذبين، إن طلبوا منك ما ليس لك و لا بيدك: –(إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ) هذا نهاية ما عندي، و أما الأمر فلله تعالى،و لكني آمركم، و أنهاكم، و أحثكم على الخير و أزجركم عن الشر

(وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ)ما أحد يؤله و يعبد بحق إلا اللّه (ٱلْوَٰحِدُ )فهو المتفردُ بعظمته و أسمائه وصفاته و أفعاله،

(ٱلْقَهَّارُ)الذي قهر كل شيء و غلبه65 (رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا)

خالقهما، و مربيهما، و مدبرها بجميع أنواع التدابير(ٱلۡعَزِيزُ )الذي له القوة،التي بها خلق المخلوقات العظيمة.

(ٱلۡغَفَّٰرُ)لجميع الذنوب،صغيرها، و كبيرها، لمن تاب إليه و أقلع منها 66

(قُلۡ ) لهم، مخوفا و محذرا، و منهضا لهم و منــذرا:–(هُوَ )أي القرآن-ما أنبأتكم به من البعث و النشور

و الجزاء على الأعمال(نَبَؤٌاْ )خبر (عَظِيمٌ )ينبغي الاهتمام الشديد بشأنه، و لا ينبغي إغفاله

و لكن ( أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ) كأنه ليس أمامكم حساب و لا عقاب و لا ثواب 68

( مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ)أي الملائكة-لَوْلَا الْوَحْيُ مِنْ أَيْنَ كُنْتُ أَدْرِي بِاخْتِلَافِ الْمَلَأِ الْأَعْلَى؟
يَعْنِي: فِي شَأْنِ آدَمَ وَ امْتِنَاعِ إِبْلِيسَ مِنَ السُّجُودِ لَهُ، وَ مُحَاجَّتِهِ رَبَّهُ فِي تَفْضِيلِهِ عَلَيْهِ.

(إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ) لولا تعليم اللّه إياي، و إيحاؤه إلي69و لهذا قال:–( إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ)

أي: ظاهر النذارة، جليها، فلا نذير أبلغ من نذارته ﷺ–70ثم ذكر اختصام الملأ الأعلى فقال:–

(إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ )على وجه الإخبار (إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ)أي: مادته من طين.

(فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ)سويت جسمه و تــمَّ (وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ )

فوطَّن الملائكة الكرام أنفسهم على ذلك، حين يتم خلقه و نفخ الروح فيه، امتثالا لربهم، و إكراما لآدم ﷺ،

فلما تم خلقه في بدنه و روحه، و امتحن اللّه آدم و الملائكة في العلم، و ظهر فضله عليهم، أمرهم اللّه

بالسجود72( فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ )فسجدوا (كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ )73( إِلَّآ إِبۡلِيسَ )لم يسجد(ٱسۡتَكۡبَرَ) عن أمر ربه،

و استكبر على آدم(وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ )في علم اللّه تعالى74فــ( قَالَ ) اللّه موبخا و معاتبا:–

(يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ )أي: شرفته و كرمته و اختصصته بهذه الخصيصة،

التي اختص بها عن سائر الخلق، و ذلك يقتضي عدم التكبر عليه.

(أَسۡتَكۡبَرۡتَ ) في امتناعك (أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ) 75

( قَالَ )إبليس معارضا لربه و مناقضا:–(أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ)

و بزعمه أن عنصر النار خير من عنصر الطين،(((و هذا من القياس الفاسد)))

فإن عنصر النـــــــار :–مادة الشر و الفساد، و العلو و الطيش و الخفة

و عنصر الطيـــــــن :–مادة الرزانة و التواضع و إخراج أنواع الأشجار و النباتات

و هو يغلب النار و يطفئها، و النار تحتاج إلى مادة تقوم بها، و الطين قائم بنفسه، –

فهذا قياس شيخ القوم، الذي عارض به الأمر الشفاهي من اللّه، قد تبين غاية بطلانه و فساده،

فما بالك بأقيسة التلاميذ الذين عارضوا الحق بأقيستهم؟ فإنها كلها أعظم بطلانا و فسادا من هذا القياس76

فــــــــ( قَالَ ) اللّه له:-(فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا ) أي: من السماء و المحل الكريم.(فَإِنَّكَ رَجِيمٌ )أي: مبعد مدحور77

( وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ )أي: طردي و إبعادي(إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ )أي: دائما أبدا78( قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ)

لشدة عداوته لآدم و ذريته، ليتمكن من إغواء من قدر اللّه أن يغويه79

فـــ( قَالَ )اللّه مجيبا لدعوته، حيث اقتضت حكمته ذلك:-(فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ۝٨٠ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ )

حين تستكمل الذرية، يتم الامتحان.فلما علم أنه منظر، بادى ربه، من خبثه، بشدة العداوة لربه و لآدم و ذريته،

فقال:-( قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ )أولا :-يحتمل أن البـاء للقســم:-

و أنه أقسم بعزة اللّه ليغوينهم كلهم أجمعين( إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ )83

علم أن الله سيحفظهم من كيده.

ثانيا:-و يحتمل أن البـــــــاء للاستعـــــــــانة:-

و أنه لما علم أنه عاجز من كل وجه و أنه لا يضل أحدا إلا بمشيئة اللّه تعالى،

فاستعان بعزة اللّه على إغواء ذرية آدم هذا، ( إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ )83

قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ
وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ ﴿٨٨﴾

(قَالَ )اللّه تعالى (فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ)أي: الحق و صفي، و الحق قولي.84

(لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ)وَ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:-

{وَلَـٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ}[السَّجْدَةِ: 13] 85

فلما بين الرسول للناس الدليل و وضح لهم السبيل قال الله لــــه:-(قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ )أي: على دعائي إياكم

(مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ) أدعي أمرا ليس لي، و أقفو ما ليس لي به علم، لا أتبع إلا ما يوحى إليَّ. 86

(إِنۡ هُوَ )أي: هذا الوحي و القرآن (إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ)الْقُرْآنُ ذِكْرٌ لِجَمِيعِ الْمُكَلَّفِينَ مِنَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ-
يتذكرون به كل ما ينفعهم،من مصالح دينهم و دنياهم،فيكون رفعة للعاملين به،و إقامة حجة على المعاندين.
فلهذا أقسم في أولها بأنه ذو الذكر، و وصفه في آخرها بأنه ذكر للعالمين.87

(وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ )أي: خبره (بَعۡدَ حِينِۭ) و ذلك حين يقع عليهم العذاب و تتقطع عنهم الأسباب. 88